الحصاد

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الإسراء: ١/١٧]

من المسجد الحرام ٢٠٤٦

كتب غيث لأعضاء فريق الأجنة تصوراً شاملاً عن التغيرات الأخيرة في العالم جاء فيه:

عالم إسلامي متغير

● أربعون عاماً حافلة بالمتغيرات عاشها جيل التغيير.. فها هو ذا في أربعينيات القرن الحادي والعشرين، يقتطف ثمراتها.

عصر المعرفة الذي تحولت إليه الإنسانية مطلع الألفية الثالثة، غيَّر كل شيء في حياة الإنسان، فتغير الإنسان.. لقد تغيرت معايير ارتقاء الأمم،

فأصبحت تقاس بمقدار ما تملكه من ثروة المعلومات والاتصالات، لا بما تملكه من ثروة المال والسلاح.

وتخفف الإنسان من عمالته العضلية التي لم يخلق لأجلها، ليتوجه إلى عمالته الفكرية التي ميزه الله تعالى بها، حين علَّم آدم الأسماء كلها.

وتحرر من قيد المكان، فتحول العالم كله إلى قرية واحدة؛ غابت عنها الحدود والحواجز والقواقع ومفاهيم السيادة الوطنية.

وتقلص دور المدرسة والجامعة لينمو دور التعلُّم عن بعد، وتبدلت أساليب التعليم، لتصبح تفاعلية بعدما كانت أحادية الاتجاه؛ تملى إملاءً من المعلِّم إلى المتعلم.

وتضاءلت الوصايات الآبائية والاجتماعية والسياسية والدينية، ليتحمل الإنسان مسؤولياته كلها.

وتراجعت ثقافة السلطة الأحادية، لتنمو سلطة الثقافة والتعدد، ويبرز دور المجتمع.

وتبادلت الأجيال الأدوار، فأصبح الأبناء أكثر امتلاكاً لأدوات عصر المعرفة، وقدرة على استيعابها من الآباء، يرددون على مسامعهم قولة إبراهيم لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾ [مريم: ١٩/ ٤٣].

وبذلك استطاع جيل التغيير؛ التحوُّل بالعالم الإسلامي من حالة الغثاء التي أودت به إلى مهاوي التخلف والانفعال والتبعية، إلى حالة الوزن والفعل والتقدم؛ ليستأنف دوره الإنساني الريادي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١١٠]. وأنهى بهذا التحول قروناً من العجز، تم تشخيصها على أنها حالة كساح مزمن؛ لا يرجى برؤه، فإذا بالأمة الإسلامية تستعيد عافيتها على يد جيل واحد؛ لتبدأ دورة حضارية جديدة؛ تتصدر بها الركب الإنساني بجدارة، وإذا بالإسلام يثبت على مر التاريخ أنه

القوة الكامنة التي ما تلبث أن تنطلق، مهما غيبت عن ساحة الفعل؛ بمكر من أعدائها أحياناً، وبغفلة من أهلها وأصدقائها، إبان انسحابهم من دورتهم الحضارية؛ في أغلب الأحيان.

مكة عادت تقول كلمتها الإنسانية الشاملة:

لم يعد الحج مجرد نسك شكلي؛ يؤديه المسلم من دون شعور بالانتماء إلى الجماعة، ولا مجرد موسم يرضي به المسلم أشواقه الروحية، ويدخره رصيداً له عند الله تعالى في الآخرة، ولا مجرد سياحة دينية؛ يستمتع بها الحاج، وينهل من بركاتها، ولا مجرد حمام لغسيل الذنوب؛ يرجع منه الحاج كيوم ولدته أمه؛ ربما ليبدأ بعده دورة جديدة من الذنوب والآثام، طالما أن حمام غسيل الذنوب جاهز لاستقباله كل عام.

لقد استعاد الحج، بفضل رياح التغيير التي

هبت على العالم الإسلامي، والروح المتوثبة لدى شباب عصر المعرفة.. استعاد الحج دوره الذي حذر منه لوثروب ستودارد في كتابه "حاضر العالم الإسلامي": فالحج في نظره هو " المؤتمر السنوي العام الذي فيه تتباحث الوفود الإسلامية القادمة من أقطار المعمور الإسلامي، وتقوم بوضع الخطط للذب عن حياض المسلمين، ونشر الدعوة، وفيه تتقد قلوب قادتهم غيرة على الإسلام والمسلمين"..

وكان تحذير لوثروب ستودارد بمثابة جرس إنذار قرعه لافتاً نظر الغرب إلى أهمية هذا الركن الثقافي الروحي الكبير في حياة المسلمين، نادباً إياهم إلى ضرورة احتوائه، وإفراغه من مضامينه، وصرفه عن مقاصده الدنيوية العليا التي قدمها الله تعالى على مقاصده الأخروية الفردية ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ [الحج: ٢٢/٢٨].

لقد أعاد شباب التغيير لمكة كلمتها التي تقولها إلى العالم أجمع؛عبر مؤتمرها السنوي الأزلي؛ أقدم وأخلد وأشمل مؤتمر إنساني عالمي ما زال الناس يؤمونه منذ أذن فيهم بالحج إليها أبو الأنبياء إبراهيم؛ يأتونه رجالاً وركباناً وعلى كل ضامر؛ يأتين من كل فج عميق، متحدين تحت لواء أصلهم الإنساني الواحد، متبرئين من كل ما يفرق بينهم من لون أو عرق أو لسان أو مال أو لباس أو رياش.. إنها العولمة في أعظم تجلياتها ومعانيها. ليس أحد غير المسلم يملك خطاباً إنسانياً شاملاً، تهفو إليه الفطر الإنسانية السليمة؛ لا تصدر عن شخص مهما علت مكانته الدينية أو الاجتماعية أو السياسية، ولا عن هيئة أو حزب أو سلطة مهما كانت صفتها محلية أو إقليمية أو دولية، إنما يصدر عن مؤتمر شعبي عالمي عريق راسخ، لا يخضع لشيء من مؤثرات الزمان والمكان.

المسجد الحرام ٢٠٤٦

● في حج عام ١٤٦٩هـ المنعقد يوم ١٠/ ١٠/ ٢٠٤٦م استطاع منظموه - بخبرات إسلامية بحتة- رفع استيعابه إلى خمسة ملايين حاج، ضمن خطة تستهدف استيعاب كل راغب بأداء فريضة العمر، دون تقيد بالسن، كما استطاعوا- بالتعاون مع بلدان المصدر- تأهيل مزمعي الحج، على أدائه بكل ما يحقق مقاصده الرامية إلى تطهير النفوس من أدرانها على المستوى الفردي، وإدماج المسلم في الإطار الإنساني العام على المستوى الجماعي، فيشعر الحاج، وهو يؤدي شعائر حجه فرداً، أنه منتظم في جماعة إنسانية كبرى متعددة الأعراق والأجناس والألسن والألوان، وعليه أن يلتزم بالإيقاع الموحَّد الذي يُسقط كل الفروق بينها، لتنصهر في بوتقة واحدة عائدة إلى أصلها الإنساني الأول (كلكم لآدم)...

● غيث كان ضمن فريق المهندسين الذين عملوا على تطوير الحرم عمرانياً، ووضع مناهج التنمية الذاتية للحجاج والتدريب عليها إنسانياً، فقد كان هذا الفريق مؤمناً بأن أرقى التصاميم الهندسية لا يمكن أن يؤدي أغراضه إن لم يرتق مستخدموه إلى مستواه، وقد أعانهم على ذلك أن الإنسانية كانت قد انخرطت في دورة جديدة؛ تحوَّلت بها من حضارة مادية قادها الغرب، حلقت بجناح واحد فأفقدت الإنسانية توازنها، إلى حضارة ثنائية توائم بين المادة والروح، وتحلق بالإنسان بجناحين ينوس بهما بين أصله الترابي فيخلد إلى الأرض تارة، وبين روحه العلوية التي يرنو بها إلى السماء ليحلق فيها تارة أخرى..

● كانت ابتهالات الحجيج، تجأر بها كل الألسن على اختلاف لهجاتها، بلغة واحدة، ونبرة واحدة: لبيك اللهمَّ لبيك!! لبيك لا شريك لك لبيك!! تتردد أصداؤها في جنبات عرفة.. ثم تصَّعَّدُ إلى

جبل الرحمة ترتطم بصخورها لتعود منها عبر الأثير، لتقرع أسماع العالم مشفوعةً بالصورة المهيبة ذاتها، حتى لتهفو كل النفوس للمشاركة، إن لم تكن قد انخرطت فعلاً في هذا المشهد العظيم، الذي توحّد فيه الناس على اختلاف ألسنتهم، وألوانهم، وأزيائهم، ومواطنهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، فنطقوا بلسان واحد، وتزيوْا بزيٍّ بسيط واحد، كما لو أنهم اختزلوا مع المكان الزمان فعادوا كلهم لآدم، لا فضل لأحد منهم على آخر ولا امتياز..

كان جبل الرحمة لا يزال يحتفظ بأصداء خطبة رسول الإنسانية في حجة الوداع؛ الخطبة التي ائتمنه عليها ليكررها على أسماع الأجيال المتعاقبة التي كان ﷺ، يرنو ببصره إليها، فهو الرسول الخاتم، الذي به سوف ينقطع وحي السماء، والذي عليه أن يبلغ رسالته للأجنة في بطون أمهاتها إلى قيام الساعة، فها هو يلح على الحاضرين:

"ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه"، وها هو يكرر عليهم سؤاله المشفق الوجل المتلهف " ألا هل بلغت؟!" فتجأر حناجر حجاج الجيل البعيد الذي استهدفه الرسول من وراء الغيب: نعم يا رسول الله: لقد بلغتنا رسالتك ووعينا مضمونها.. نرجو أن نكون الجيل الذي سيثلج صدرك.

فريق الأجنة يعقد مؤتمره الأول وجهاً لوجه

قرابة خمسة عقود من المؤتمرات الافتراضية المتواصلة لفريق أجنة حج ١٤١٨هـ، أسهمت - إلى حد كبير-في تصحيح الأوهام والمفاهيم الخاطئة السائدة، وإرساء وعي جديد عن طريق الحوار والاعتراف بالتعدد وحق الآخر في الاختلاف واحترامه.. آن الأوان بعدها لعقد مؤتمر واقعي يلتقي فيه أعضاء الفريق وجهاً لوجهه.. ومن أجدر من مكة- التي استعادت دورها المركزي

الإنساني- لتكون المكان؟! وأي موعد أجدر من الحج- الذي كان سبب الصلة بينهم والمنطلق- ليكون الزمان؟!

كل اللقاءات والمناقشات والمؤتمرات يمكن أن تكون افتراضية عبر الإنترنت، ما عدا الحج، لا يمكن أداؤه افتراضياً.. لقد كانت أشواقهم إليه كبيرة.. أدركوا أي دورة تدريبية كبرى سينخرطون بها، فأعدوا لها عدتها!! وأي لقاء حميم وجهاً لوجه سوف يجمعهم، فهيؤوا له كل مستلزماته!! وأي قرارات يجب اتخاذها لإنفاذ الوعد مع المسجد الأقصى!!

نظموا حجهم تنظيماً دقيقاً يتيح لهم الاستمتاع به على الصعيد الروحاني الفردي، والاستفادة منه على الصعيد السياسي الجماعي.. وزعوا اجتماعاتهم لأجل القدس بين مناسك الحج، ووضعوا لها جداول أعمالها المتسقة مع كل منسك؛ فلقْاءٌ بملابس الإحرام في عرفات على

سفح جبل الرحمة، يستشعرون فيه رهبة الوقوف بين يدي الرسول ﷺ؛ يصغون إلى خطابه في حجة الوداع، صدىً ما يزال يتردد؛ لم تستطع القرون المتعاقبة أن تخفته.. وآخر خاطف في المزدلفة، بعد جمع الحصيات التي سيرمون بها الشيطان، تعبيراً عن يقظتهم لأحابيله، وحذرهم أن يبذر بينهم بذور الفتنة، أو يفتَّ في عضدهم فيدركهم الوهن.. واجتماعات مطولة يحيون بها ليالي منى الجميلة الرخية، يضعون فيها اللمسات الأخيرة على مشروعهم الذي أوشك أن يكتمل.. يطوفون به على خيام الحجاج؛ يشرحونه لهم، ويجعلونهم على موعد بعد عامين؛ مع الأقصى ثالث الحرمين.. موعدٍ أكده خطيب المشعر الحرام..

وفي هذا المؤتمر الواقعي الأول لفريق أجنة حج ١٤١٨، الذين كانوا جميعهم أقراناً في عقدهم الخامس، وكان معظمهم قد اختار شريك حياته من أعضاء الفريق؛ حرصوا على أن يصطحبوا أزواجهم

إلى مؤتمر مكة، وأن ينذروا فيها ما في بُطون الأمهات من أجنة ليكون الفريق القادم الذي سيتولى حراسة الأقصى المحرر، والدفاع عنه تجاه أي طامع.

إلى المسجد الأقصى ٢٠٤٨

فصل متروك لشباب التغيير يكتبونه بأقلامهم..

يصورونه بأدواتهم التي امتلكوا ناصيتها؛ عصفاً فكرياً، ورصداً، وإحصاءً، وتخطيطاً، وتجربة، واستنتاجاً، ومتابعة..

إنهم الآن في عقدهم الثاني!! لكن الأدوات التي وضعها عصر المعرفة في أيديهم؛ ضاعفت أعمارهم، ووسعت إمكاناتهم، وعمقت رؤاهم، ووثقت العرى بينهم، ويسرت لهم سبل التفاهم والتخاطب عن بعد، وفجرت المعلومات بين أيديهم، وأبلغتهم سن الرشد المبكر، وأهلتهم لحمل

مسؤولية استعادة القدس بجدارة، بعدما حملت أجيال آبائهم عار النكبة والنكسة والنزوح بجدارة..

لقد تولت أنظمة أواسط القرن الماضي مسؤولية المعركة مع إسرائيل؛ منحية المجتمع جانباً لتتولى سائر شؤونه؛ تطعمه، وتسقيه، وتقرأ له، وتفكر نيابة عنه.. فاستجاب لها مضحياً بحريته وكرامته ووسائل عيشه في سبيل قضيته الكبرى فلسطين..

فإذا بفلسطين تسلم إلى إسرائيل شبراً بشبر، وإذا بعلم إسرائيل يخفق في بعض عواصمنا، تحدياً لكل القيم والشهداء والمشاعر الوطنية والكرامة.

لقد آن للمجتمع أن يستعيد دوره، بعد ما فقد تخليه عنه مسوغاته، وعجزت أجيال الآباء عن استعادة حقوقها المسلوبة.

فلتكتب أجيال الأبناء صفحات التغيير والتحديث: وليكن موعدنا **٢٠٤٨** في المسجد الأقصى.